أوراق إستراتيجية

القوة الجوية في حرب إسرائيل- حزب الله 2006

بقلم وليام م. أركين- محلل عسكري مستقل؛ فصل من دراسة موسعة؛ جامعة سلاح الجو، قاعدة ماكسويل الجوية؛ آلاباما، آب 2007

لكل حرب حديثة رواية معقدة ومثيرة للجدل: "فعاصفة الصحراء" كانت الإثبات والتوكيد على التكنولوجيا العصرية وسلاح الجو الدقيق. ومع ذلك، والى حد ما، فقد أثبتت حرب الخليج الأولى أن القصف "الإستراتيجي" والقدرة على القهر والإرغام أمر لا ينجح، وبأنّ القوات البرية كانت ضرورية في نهاية المطاف لفرض الإستسلام العراقي التام، "لإحتلال الأرض"، وإنهاء العمل. أما حرب 1999 على كوسوفو، فقد كانت الحرب الأولى التي "رُبحت" بسلاح الجو وحده. لكن فقط، بحسب ما يحتج البعض، إذا ما تجاهل المرء بأنّ التهديد بحرب برية أقنعت سلوبودان ميلوسوفيتش بالإستسلام الى مطالب الناتو. فعملية الحرية الصامدة (OEF) في أفغانستان تحدت التوقعات بشأن مستنقع على النموذج السوفياتي وثبتت حقبة جديدة، حيث هزمت قوة صغيرة ذات قوة على العمل بفعالية في العمليات الخاصة والقوة الجوية عدواً أكبر منها بكثير. وهو ما يعني بأنه طالما أن المرء يحُد عملية الحرية الصامدة بالإطار الزمني لـ "إنتصار" 2001 ويتجاهل الحرب الطويلة التي أعقبتها. أخيراً، كانت حرب الخليج الثانية- عملية الحرية العراقية- ولا تزال، عبارة عن رفض للـ "الصدمة والرهبة" والحرب التي مضت بحال سبيلها بسبب توقع مريب بنصر سريع غير معقد، وبسبب توظيف موارد قليلة جداً وفقاً لأفغانستان، وتخطيط ما بعد الحرب الناقص.

وبالكاد يخيب صراع إسرائيل- حزب الله عام 2006 الظن بالروايات المتنافسة. فحزب الله يصنف صموده وبقاؤه في وجه الهجوم الإسرائيلي على أنه "إنتصار إلهي"، مصرحاً بأنه يعيد تسليح نفسه وبأنه أكثر قوة من أي وقت مضى- عسكرياً وسياسياً في الحياة السياسية اللبنانية وفي العالم العربي كله. أما حكومة رئيس الوزراء إيهود أولمرت الإسرائيلية، فتجزم بأنّ حرب 2006 كانت إحدى أكبر إنتصارات البلاد العسكرية والسياسية على الإطلاق. فأولمرت يحتج بالقول بأنّ إسرائيل أرجعت حزب الله الى الوراء بما يتعلق بالأسلحة والعتاد والقدرات، ودفعته عن الحدود الشمالية وأنجزت هدنة تناسب مصالح إسرائيل السياسة، وأسست لإعادة تنظيم جيوبوليتيكي في لبنان والعالم العربي "المعتدل". فالقوة الجوية في الرواية الإسرائيلية مصنفة على أنها "مدهشة". ويزعم الداعمون لهذا التصنيف بأنّ هناك نسبة مئوية ما ضخمة من قدرات حزب الله المتوسطة والطويلة المدى قد دُمِرَت ويشيرون الى أنّ جيش الدفاع الإسرائيلي كان قادراً على إلحاق نسبة خسائر شديدة به مع خسائر لجيش الدفاع توازي الصفر تقريباً. ويقول المايجور جنرال بينيامين غانتز حق، وهو ضابط كبير في الجيش الإسرائيلي، بأن القوة الجوية "أسست لسابقة تاريخية بما يتعلق بقدرتها على التعرف على القاذفات، تحديد موقعها بدقة تامة، وإغلاق فتحات أجهزة الإستشعار لمطلق الصواريخ بسرعة جداً". ويحتج آخرون بالقول بأنّ القوة الجوية، من خلال ردها السريع، إمتدادها الإستراتيجي، وجبروتها العقابي، عززت أيضاً قوة الردع الإسرائيلية، لتبرهن بذلك عن ثمن غال بإمكان إسرائيل فرضه على أي مهاجم.

إنّ المجادلة بأن إسرائيل قد حققت ما عبّرت وإقترحت تحقيقه في حرب 2006 يشبه، على كل حال، القول بأنّ العملية كانت ناجحة لكن المريض مات. ربما كان سلاح الجو ممتازاً وعظيماً، وقد يكون جيش الدفاع قد أنجز بالفعل مهمات تحويلية داخلية صعبة تحت النار، لكن بما يتعلق بأهداف إسرائيل، فإنه لم يتم إنقاذ الجنديَيْن الإسرائيليَيْن المخطوفين ولا إطلاق سراحهما؛ لم يوضع حد لإطلاق صواريخ حزب الله مطلقاً، ولا حتى صواريخه الطويلة المدى؛ أدى المدى الذي وصلت إليه الهجمات الإسرائيلية الى إثارة إدانة واسعة؛ وكانت القوات البرية الإسرائيلية مهتزة وغارقة بالوحل وعاجزة عن التقدم بسبب خصم قادر ومجهز جيداً. فالجنرال حالوتس، حتى، يصنف نتائج الحرب بأنها "عادية وضعيفة"، ويعترف بأنّ جيش الدفاع لم يحقق أهدافه الداخلية. قد يكون لحقت بحزب الله أضراراً كبيرة بسبب القصف الإسرائيلي- الجو، البحر، والبر- لكن ليس هناك من شيئ فعلته إسرائيل كان قادراً على تقويض تجانسه الأساسي أو إستنزاف قواته. فبالكاد بعد شهر من وقف إطلاق النار، إدعى نصر الله بأنّ حزب الله كان لا يزال يمتلك 20,000 صاروخ على الأقل. أما في آذار 2007 فقد توصلت الإستخبارات الإسرائيلية الى إستنتاج يقول بأنّ "جنوب لبنان لم يصبح منطقة منزوعة السلاح وخالية من المنظمات الإرهابية وأسلحتها، وبأن حزب الله كمنظمة لم يكن منزوع السلاح، وأن عملية إعادة ترميم قوته العسكرية مستمرة، وبأنه لم يتم فرض حصار فعال على تهريب الأسلحة من سوريا الى لبنان". أما وكالة إستخبارات الدفاع الأميركية، فقد وافقت على ذلك معربة عن رأيها بعد أقل من 6 أشهر من وقف إطلاق النار قائلة بأنّ "قوات الدفاع الإسرائيلية دمرت بعضاً من ترسانة حزب الله وعدد من أبنيته، إلا أنّ قيادة حزب الله لا تزال سليمة لم تمس بأذى، ومن الممكن أن يكون حزب الله قد جدد مخزوناته من الأسلحة بمساعدة إيرانية وسورية". ولا عجب عندها أن يعكس الجنرال غانتز وجهة نظر عدد من الإسرائيليين المتفلسفين بأنه برغم الإنجازات المزعومة والفعلية، فإنّ الصراع الكلي مع حزب الله لن يُحل "من دون جولة أخرى من المعركة".

أما خارج الحكومة الإسرائيلية وأركان الجيش، وبالتأكيد خارج إسرائيل، فإنّ بقاء حزب الله وقوته بعد الحرب الى جانب التدمير الظاهر للبنان يقود المراقبين الى تسليم عالمي تقريباً بأنّ حرب 2006 كانت حرباً منفذة من قبل إسرائيل بطريقة غير شرعية بتبرير عسكري ضئيل إن لم يكن غير نافع، وآثار ونتائج إنسانية بالغة.

وقد اعربت منظمة العفو الدولية في آب عن رأيها بأنّ إسرائيل واصلت القيام بسياسة "تدمير مدروسة ومتعمدة للبنية التحتية المدنية اللبنانية"، بما في ذلك إرتكابها "لجرائم حرب". أما في أيلول، فقد قالت منظمة هيومان رايتس بأنّ إسرائيل تسببت بـــ "فشل نظامي ممنهج بالتمييز بين المقاتلين والمدنيين"، متسائلة عن سبب إستهداف عدد كبير جداً من المنازل والمركبات المدنية "برغم غياب التبرير العسكري". وفي تشرين الثاني، إستشهدت لجنة التحقيق الدولية بـــ "نموذج هام وبارز عن الإستخدام المفرط، غير المميِّز وغير المناسب للقوة من قِبَل جيش الدفاع الإسرائيلي ضد المدنيين اللبنانيين والأهداف المدنية"، لتصل الى إستنتاج بأنّ تصرف إسرائيل برهن عن "إفتقار كامل لإحترام المبادئ الأساسية البالغة الأهمية المنظِّمة لإدارة الصراع المسلح، وأهمها التمييز، التناسبية، الإحتراز".

فمع ما هو مسلم به من إعتماد إسرائيل على التكنولوجيا العالية وعلى ذخائر الأسلحة الموجهة بدقة، وقرارها بالإحجام عن تدمير بنية الدعم التحتية الحياتية المباشرة للبنان، وبسبب قراراتها الإستهدافية المحددة وعملية المراجعة القانونية الداخلية لديها، وبسبب إعتبارها لنفسها كبلد مطيع للقانون ومبني على أساس أخلاقي، وبسبب طبيعة إستخدام العدو الصريح والمقصود للمجتمع المدني كدرع وإرتكاباته لجرائم حرب بمهاجمته مدنيين إسرائيليين، فلا يجب أن تكون هذه الرواية عن عدم الشرعية الإسرائيلية محبطة، وبعمق، لكثيرين. فالبعض يحتج حتى بالقول بأنّ المشكلة الإسرائيلية هي واحدة من وجهات نظر: بأنّ حرب 2006 كانت بذاتها حرب روايات متضاربة وبأنّ إسرائيل فشلت "بالفوز" بمعركة العلاقات العامة بسبب تقنيات أو ممارسات الحرب الإعلامية المتواضعة (الضئيلة)، لأنه كان عليها أن "تقول الحقيقة" في الوقت الذي أخبر فيه حزب الله الأكاذيب، أو أنّ إسرائيل "خسرت" بسبب الإنحياز الإعلامي.

لكن ربما يكون جزء من المشكلة هو في طبيعة ورواية الحرب الجوية نفسها. هنا الحقائق المتعلقة بحرب تموز 2006: 1,200 أو أكثر من القتلى المدنيين اللبنانيين؛ 4000 من الجرحى المدنيين؛ تدمير عدد كبير من المنازل والشقق بلغ 130,000 في أكثر من 130 قرية وبلدة؛ تدمير مئات المباني في بيروت وتسوية مجمعات سكنية كاملة فيها بالأرض؛ تدمير 100 جسر؛ تدمير عشرات محطات البنزين؛ مهاجمة المطارات والمرافئ. ومع غياب تفسير محترم عما تعنيه كل هذه الأرقام حقاً أو أخذها من السياق أو ليّها لتجاهل إكتراث إسرائيل أو المكان الذي نشر فيه حزب الله قواته أو كيفية محاربته، تصبح هذه المعلومات المعزولة أداةً لأي بروباغندي. وسواء كان السبب سرد جيش الدفاع الإسرائيلي تكراراً، وبشكل آلي، للـ "بنيات" التي هاجمها يومياً وعدد الغارات التي قام بها طيرانه، أو كان السبب التقارير الإعلامية الإخبارية حول الضحايا المدنيين والأضرار على الأرض بغياب وصف إسرائيل الموجب لجهدها العسكري المهيمن (سلاح الجو)، فإن سياق خيارات إسرائيل، صنع القرار، الأعمال، والإستراتيجية بكاملها كلها قد ضاعت. حتى أن تعليقاً إسرائيلياً مروِّجاً لإنجازات جيش الدفاع كان مبنياً على نفس رواية التدمير الذي لا معنى لها، البليدة والفاقدة للحس. فعلى سبيل المثال، هنا أحد الصحافيين الإسرائيليين يصف حصيلة الحرب:

إنّ ثلثا لبنان عبارة عن خراب. فالبنية التحتية الرئيسية قد ضُربت بتفويض بذلك. القواعد، المستودعات، مراكز القيادة، المصارف، والمؤسسات المالية قد دمرت. أصبحت معظم مراكز قيادة حزب الله كتلاً من الحجارة. و تم تهجير مليون شخص من بيوتهم، كما زحف ربع مليون شخص بهياج لترك البلاد. مع إحصائيات كهذه، فإنّ نصر الله بحاجة الى جرعة صحية من الجرأة للوقوف أمام حشد من مئات الآلاف وتقديم نفسه كبطل ومخلص".

ثلثا لبنان؟ لا عجب بأنّ لجنة التحقيق الدولية "رأت" بلداً "مدمراً" عندما زارت لبنان، مصرحة بأنّ "المنازل، إمدادات المياه، المدارس، المراكز الطبية، عدداً من المساجد والكنائس، محطات التلفزة والإذاعات، مواقع تاريخية، ثقافية وأثرية كلها تعاني من أضرار هائلة... وبأنه تم ضرب الزراعة والسياحة تحديداً" (تم إضافة التشديد على الجملة). ولا عجب أيضاً أنه كان بإمكان اللجنة الكتابة بأنّ بنية لبنان التحتية الإقتصادية كانت مستهدفة عمداً، عارضة ليس فقط الى نية إسرائيلية بتخريب لبنان، وإنما الى أنّ كل شيء قد دُمِرَ، بصرف النظر عن ضآلته أو سطحيته، قد تم تدميره بالفعل وعن قصد. ولا عجب بذلك لأنه برغم تطمينات إسرائيل وتأكيداتها المهدئة بالإذعان للشرعية وبروتوكولات جنيف بالتركيز على الأهداف العسكرية الصعبة لحزب الله، فقد أطلق قادة إسرائيليون تهديدات تعرض الى أجندة خفية ونية بتدمير لبنان كبلد. *"لبنان مسؤول، ولبنان سيتحمل العواقب عن أعمال حزب الله"*، هذا ما أعلنه رئيس الوزراء إيهود أولمرت في اليوم الأول من الحملة. وحذر حالوتس بأنّ الهجوم الإسرائيلي سوف *"يعيد الساعة في لبنان 20 عاماً الى الوراء"*. وقال ضابط رفيع في الجيش الإسرائيلي للمراسلين بأنّ حالوتس أمر الجيش بتدمير 10 مبانٍ في بيروت إنتقاماً لكل صاروخ يضرب حيفا.

وكانت إسرائيل قد أعطت إشارة منذ بداية "عملية تغيير الإتجاه" ذات نفسها- من خلال هجمات متكررة على الجسور، وفي هجماتها على مطار ومرافئ لبنان، وفي مهاجمة "مباني" في جنوب بيروت لمدة 23 من اصل 34 يوماً من الصراع- بأنّ لها أجندة ثانية ثانوية بفرض "رافعة" سياسية على لبنان، كما كان يقول رئيس الوزراء إيهود أولمرت. فمن جهة كانت إسرائيل تعيد تعديل هجماتها بإهتمام وعناية ساعية الى التقليل من الأضرار المدنية في حرب محددة لتحقق ليس فقط نتائج عسكرية، وإنما مكاسب سياسية على المدى الطويل، في حين كانت من جهة أخرى، وفي آن معاً، تواصل حملة عقابية وتدميرية مقصودة. لقد أرادت إسرائيل، وبوضوح، أن "توضح النقاط بشكل تام" للحكومة اللبنانية وأهل بيروت. فإذا ما كانت إسرائيل قد خسرت حرب الروايات، فإنّ ذلك لا يعود فقط الى إختباء حزب الله بين المدنيين، أو حتى لأنّ إسرائيل قامت بحملة إعلامية خرقاء.

كيف يمكن إذن فهم حرب لبنان بما يتخطى أهداف إسرائيل المزدوجة، تصرفها الأخرق، وبما يتخطى غدر حزب الله، وبما يتجاوز مجتمعاً دولياً كان بالفعل ميالاً نحو الظهور بشكل متناسب منطقي ضد إسرائيل؟ " *إن الدول تتقاتل في عالم الواقع، وليس في عوالم حيث يمكنها وضع قوانين للحرب أو معايير إدراكية*"، يكتب أنطوني كوردسمان.

ففي عالم الواقع، حاربت إسرائيل خصماً لم يتحدَ فقط معايير صنع حرب تقليدية، وإنما خصماً أثبت بأنه محنك ومستعد. وقد فهمت إسرائيل، على مستوى ما، طبيعة حزب الله– شيء كان عليها أن تكون غارقة بمعرفته به مع إختيارها كل تلك المباني والمنازل المدنية على أنها ممتلكات لحزب الله– ومع ذلك، واصلت إسرائيل إستراتيجية هزم حزب الله بطريقة قديمة بالية وموجهة بطريقة خاطئة. وبعد ذلك في النهاية، لم تؤد سمة حرب 2006 ، كرواية من الروايات أو كسوء فهم كبير الى قيام إسرائيل بنقد ذاتي بسبب إخفاقاتها الفعلية المتعلقة بالمفهوم والتنفيذ فقط، وإنما يحول إسرائيل (وإمتداداً، الولايات المتّحدة) ويشغلها عن المهمة الضاغطة الملحة المتعلقة بتجاوز مقاربات عسكرية تقليدية للعثور على طريقة أكثر فعالية لـــ "محاربة" الإرهاب.

إنّ تقييماً صادقاً ونزيهاً لمكمن الخطأ الإسرائيلي يفرض ضرورة الإعتراف من البداية بأنه كان لدى القيادة السياسية الإسرائيلية أسباباً مشروعة قوية عديدة لجهة إرادتها إستخدام وسائل القوة الجوية المرتبطة بهجوم إستراتيجي والضرب الطويل المدى. أولاً، لقد أدت مقاربة "مركزية لقوة جوية" الى أفضل تحرك ضد قوى العدو، تحديداً مع مدى الإنغراس المسلّم به لحزب الله داخل مجتمع لبناني مدني، والكيفية التي قام فيها ببناء قدراته الأساسية شمال نهر الليطاني (ليكون بذلك خارج إمتداد القوات البرية الإسرائيلية). ثانياً، كان المفهوم الموجود المتعلق بحرب برية تقليدية، الإحتكاك البري والإحتلال المتّبع والشائع في جيش الدفاع الإسرائيلي خارج التناسق، سواء مع طبيعة العدو أو مع مستوى إلتزام القادة الإسرائيليون (والشعب الإسرائيلي، بحسب رؤيتهم) الذي كانوا مستعدين لصنعه. ثالثاً، كان قرار "القوة الجوية" ليتخذ بشكل أسهل لولا الأمر الواقع المتصل بالحقيقة المجردة القاسية بانّ القوات البرية لم تكن جاهزة لتحقيق نتائج الحملة نفسها التي كانت تروّج لها.

وفي رسالة إستقالته في كانون الثاني 2007 الى رئيس الوزراء إيهود أولمرت، كتب قائد سلاح الجو دان حالوتس قائلاً: " لقد كانت إحدى الأمور الرئيسية التي علمتنا إياها التحقيقات الداخلية لحرب 2006 هي أنّ المؤسسة العسكرية متأثرة بعمق بسبب عمليات طويلة الأمد. فأحياناً التأثير غير ملاحظ كما أننا غير واعين لعواقبه الكاملة. إن هذه العمليات تؤثر على المجتمع الإسرائيلي عموماً وعلى قدرات الجيش تحديداً". فما هي تلك العمليات الطويلة الأمد التي رجع إليها حالوتس في كلامه، وكيف أثرت على المجتمع الإسرائيلي، وعلى عملية صنع القرار الحكومي، وإستراتيجية جيش الدفاع الإسرائيلي؟

لقد كانت بعض هذه العمليات تنظيمية ومبنية على أساس الأولويات، مركزة جهداً أكبر على إصطياد إسرائيل لأهداف إرهابية عالية القيمة وعلى أنشطة وحدات صغيرة مرتبطة بتحديات فلسطينية في الضفة الغربية وغزة، مع وجود فرقة قوات برية، تحديداً في الشمال، تتلقى القليل من الموارد. أما العمليات الأخرى، فكانت عقائدية ومفاهيمية، تحديداً في إعتناق عقلية عمليات "مبنية على التاثيرات" وما يدعوه منظّرو جيش الدفاع الإسرائيلي بأهداف "معرفية" (لها أساس في المعرفة التجريبية الواقعية)، بدلاً من مقاربات الإحتكاك البري التقليدي و"تدمير" العدو. إن التقيد بهاتين العمليتين الطويلتي الأمد وإعتناقهما، بحسب ما يقول البعض، أدى الى "غطرسة جوية" من جانب عدد من كبار ضباط جيش الدفاع الإسرائيلي.

إنّ القيام بمعادلة مقاربة مبنية على التأثيرات مع غطرسة جوية هو عمل خاطئ. لكن إذا ما تقبل المرء بأنّ إسرائيل قد تبنت بالفعل عقيدة جديدة مبنية على التأثيرات لمحاربة الإرهاب منذ العام 2000 ، فإنّ الأسئلة الأهم هي كيفية تنفيذ جيش الدفاع لها، وهل إتخذ الخيارات الصحيحة؟ وكالولايات المتّحدة في الحرب العالمية على الإرهاب، يحتج القادة الإسرائيليون بأنهم يحاربون نوعاً "جديداً" ومختلفاً من العدو– دولة ضمن دولة، قوة عصابات إرهابية مسلحة جيداً تتخذ من السكان المدنيين درعاً لها– ومع ذلك، وعندما جاء وقت العمل في العام

2006، قام جيش الدفاع الإسرائيلي بتصميم أكثر الحروب تقليدية بناء على على الفرضية القائلة بأن حزب الله يمكن أن يُهزم، والتخلص منه حتى، من خلال مستوى ما من الإحتكاك والتدمير. وفي فترة من فترات راحتها، علمت إسرائيل بأنّ حزب الله كان مسلحاً بشكل جيد وبأنه قوة ذات جذور عميقة ودعم شعبي هائل في الجنوب اللبناني، لكنها كانت تترنم على الدوام وللإستهلاك المحلي والبروباغندا الخارجية بنغمة أنّ حزب الله ضعيف، وبأن لا دعم لبناني لديه وبأنه كان يخسر وسوف يخسر. بإختصار، لم يكن يبدو على إسرائيل بأنها تخلت عن رؤية، ومن ثم محاربة، حزب الله بالطرق التقليدية.

وفي الـ 24 ساعة الأخيرة من الحملة، وقبل هدنة 14 آب، عندما هاجم جيش الدفاع الإسرائيلي 8 محطات بنزين في جنوب لبنان، سيطر العقاب الصرف إنطلاقاً من المفهوم المبني على التأثيرات. أما في حالة محطات البنزين والإستخدام الجاد والخطير لآلاف أسلحة الذخائر المستغنى عنها– "القنابل العنقودية"– في الساعات الـ 72 الأخيرة، فقد ظن البعض في إسرائيل من دون شك بأن بالإمكان تأخير إستعادة حزب الله لنشاطه وتقويضه؛ أو إذا ما إنهارت الهدنة، فإنّ التأثير التراكمي لنفاذ الموارد والعوائق الموجودة أمام التحرك سيُراكم، مع الوقت، مكاسب عسكرية بالنسبة لجيش الدفاع الإسرائيلي. وعليه، فإنّ نفس نوع التفكير لا بد وأن يكون قد طُبِقَ لجهة تراكم الطرقات والجسور المدمرة على إمتداد لبنان الشمالي وسهل البقاع، أي أنه قد إبطاء تحركات وواردات بطريقة ما أو حتى وقفها، وبأنّ جيش الدفاع كان مستفيداً مباشرة من ذلك.

هذه أكثر المقاربات تقليدية، مع تبريركل هدف مستقل بسبب مشروعيته وأهميته العسكرية، المنفصل تقريباً عن هدف الحملة الشاملة والنتيجة الإستراتيجية المطلوبة. إنّ الفرضية هي أنه إذا ما هوجم الهدف بشكل دقيق وحذر للغاية، وإذا ما هُزمت الوحدة، وإذا ما تم قتل مقاتل آخر، فإن صلة ما ستُصنع بشكل سحري وطبيعي ما بين الأهداف السياسية الأوسع للحرب. أما الآن، فإنّ القادة السياسيون الإسرائيليون والأشخاص العسكريون المعتبرون يهتفون بنجاحهم بالتخلص من تهديد صواريخ حزب الله الطويلة المدى، وبقتل أكثر من 600 مقاتل من حزب الله، وإرجاع قدرات حزب الله العسكرية وبنيته التحتية "عامين" الى الوراء، وإزاحته من جنوب لبنان، والإثبات بأنّ إسرائيل لم تعد مترددة بالرد على إستفزازات فردية، وفرض "ثمن" مرتفع على أي شخص يهاجم إسرائيل.

وبالرغم أنّ حزب الله لم "يهزم" إسرائيل على أرض المعركة مطلقاً، بسبب حملة إسرائيل المتشعبة والمدمرة التي شنتها ضد شعب ودولة لبنان، فقد كان حزب الله قادراً على الفوز بعقول وقلوب الكثيرين. فرواية حزب الله لم تكن تحكي أن المدنيين اللبنانيين هم فقط من تم ضربهم في حين لم يُقتل سوى قلة من مقاتليه ، لكنها حكت بقاءه على أفضل حال ونجاته مما كان بإمكان إسرائيل أن ترميه به، وبأنه، أي حزب الله، (وليس بيروت ولا الحكومات العربية) قد صمد بشكل منقطع النظير أمام إسرائيل وحقق إنتصاراً. فالتعزيز السياسي لحزب الله بوجه الهجمة الإسرائيلية الهائلة– والإحتفالات التي تماوجت عبر العالم العربي بإحباط جهود إسرائيل وخططها (تماماً كما كان حال الولايات المتّحدة في العراق)– جاء من هزيمتهم "التقليدية".

فهل كان أي شخص في جيش الدفاع الإسرائيلي أو القيادة الإسرائيلية مؤمناً حقاً بما كانوا قد تلفظوا به،عندما إتخذت إسرائيل القرار بالرد على حزب الله في 12 تموز، بما يتخطى الهجمات الفورية على نقاط المراقبة الحدودية وبمحاذاة مقاتلي حزب الله وأنشطته، وبما يتجاوز حتى الهجمات على البنية التحتية الصاروخية الثانية وعملية الـ 34 دقيقة ضد قوة حزب الله الطويلة المدى (مهما كانت)،بأنّ القيام بهجمات على حفنة من جسور الليطاني والزهراني– وحتى نقاط إزدحام أساسية– ستمنع حزب الله من إخلاء أو إخفاء الجنود المخطوفين؟ وعندما قصفت إسرائيل مطار بيروت الدولي في الـ 24 ساعة الأولى من الحرب، مع تبريرها العلني بأنها كانت تبغي إعاقة تصدير الجنديَيْن أو إستيراد موارد عسكرية، فهل كان هناك من يؤمن بهذا الأمر حقاً في الهيكلية القيادية؟ هل إعتقد أي شخص في جيش الدفاع أو الحكومة الإسرائيلية بأنّ المجتمع العام أو الدولي سيصدّق أو يقبل هذه التفسيرات المفتعلة؟

إنّ تقييماً نزيهاً، غير مناهض للقوة الجوية لحرب إسرائيل– حزب الله 2006 يُظهر بأنّ إسرائيل، مع إقرارها بحرب محدودة وإدراكها الكامل لفرص هذه الحرب التشاؤمية في النضال المحلي والدولي للفوز بالقلوب والعقول، إختارت فقط القيام بالتدمير قدر الإمكان وبأقصر فترة ممكنة من الوقت، على الأقل لإرجاع حزب الله الى الوراء وشراء الوقت لأمنها. وبما أنّ الأمن هو الهدف النهائي، فقد كان على أحد ما أن يقول في مرحلة ما "هذا كافٍ الآن" بالنسبة لما قد تم تحقيقه. كان على أحد ما أن يقول– أو حتى يعترف– بأنّ تراكم الأبنية والجسور والمنازل المدمرة في القرى في الجنوب اللبناني والبقاع بعد فترة، بدأت تخبر قصة أخرى مختلفة؛ وبأنّ تلك القصة، إن لم تكن تلك هي النية، هي قصة يجب تجنبها. فتلك الرواية تحكي بأننا "نحن" في الغرب، مع كل إستخباراتنا، طائراتنا من دون طيار، وتفوقنا التكنولوجي والعسكري التقليدي، نقوم بكل شيء عن عمد وبوضوح تام؛ بأننا نحن من ليس لديه إعتبار للمجتمع المدني أو المدنيين، تحديداً المسلمين: نحن ندمر حتى محطات البنزين لديهم. ولأنهم لا يملكون طائرات F-16 لمهاجمتنا بها، فقد إستخدموا الصواريخ أو المفجرين الإنتحاريين أو طائرات السفر لرد الضربة.

هناك نقاش مطروح بأنه، وبصرف النظر عما قصفته إسرائيل، فإن الدولة اليهودية لا تزال مستفزة لكراهية المتعاطفين مع حزب الله وقسم كبير من اللبنانيين والعالم العربي على الأرجح. إلا أنّ إسرائيل كان بإمكانها أيضاً، وعليها ذلك، مواصلة القيام مقاربة مختلفة. وبما أنّ إسرائيل لم تكن "لتفوز" بالحرب ضد حزب الله من خلال الأكوام المتراكمة الإحصائية (عمليات التدمير الكلية المنهجية) وبأنها لم تكن لتحارب حزب الله بحيث تصل الى إنتصار ما كامل بالحرب، فقد كان لزاماً أن لا يكون الهدف المعادل خلق ردع أقوى فقط، وإنما خلق درجة ما من التعاطف والدعم لحق إسرائيل بالدفاع عن نفسها، حتى ولو كان على إسرائيل مهاجمة دولة اخرى لهذا الغرض. فلو أنّ إسرائيل وضعت حداً لهجماتها قدر الإمكان ضد حزب الله، لو أنها ركزت مواردها على القوات والقدرات العسكرية في الجنوب والبقاع، ولو أنها قامت بحملة أكثر إنسجاماً مع المعايير الإنسانية والدولية البارزة المتعلقة بإستخدام القنابل العنقودية، لو أنّ إسرائيل أظهرت شفافية أكبر في وصف ما كانت تقوم به والأساس الإستخباراتي لقراراتها، لو أنّ إسرائيل شنت حرباً أكثر تطابقاً مع حدسها السياسي الخاص بها حول ما الذي كان ممكناً في المقام الأول مع منظمة حزب الله، فإنها ربما كانت– ربما كانت– إشترت وقتاً أكبر وأحدثت تعاطفاً ودعماً أكبر، لتحقق بذلك ليس عدداً أكبر من الإنجازات العسكرية فقط ، وإنما ما هو أكثر في الهدف الأساسي الطويل الأمد المتعلق بمكافحة الإرهاب: عدم خلق عدد أكبر حتى من الأعداء غداً .

لم يكن " فشل" القوة الجوية في حرب إسرائيل– حزب الله هو أنها وعدت بالكثير جداً أو أنها لم تفِ بما وعدت به. فالفشل، بدلاً من ذلك، كان فشل إستراتيجية كبرى في تطبيق القوة ضد الإرهاب. فالحرب تبرهن وتبرر القيام بتحول واضح وضروري من طرق وأساليب الحرب التقليدية الى أخرى جديدة بالكامل مطلوبة لمكافحة الإرهاب في المستقبل. لقد فشلت إسرائيل، بالتأكيد، في "إخبار" روايتها عن القوة الجوية (والجيش) بشكل فاعل. لكن القيام بذلك يتطلب فهمها للمرونة الشديدة للوسيلة التي كانت تستخدمها، وبأنها أخفت دوافعها المتناقضة "سعياً" وراء "التأثيرات"، في الوقت الذي كانت تقوم فيه أيضاً بإنزال العقاب الذي زعزع خفة الحركة نفسها. فالفشل، إذن، يعني بأن وسيلة قد تم إثبات بديهيتها وموثوقيتها بشكل منقطع النظير لا تزال مسكونة ليس فقط بعقود من صور اللا إنسانية القديمة ، وإنما يُحتفظ بها ويتم تقويضها بواسطة مفاهيم بالية وخاطئة عن الحرب البرية، الإستباقية، ودماثة الخُلق أيضاً.